

## رعاية الطفل مرة أخرى

يعتقد الكثيرون ان ميلاد الطفل هو بداية حياته... ويؤرخون لحياته ويخططون لمستقبله، وقيسون معدلات نموه وسلوكه ودراسته اعتمادا على شهادة الميلاد... واذا أردنا أن نوفر رعاية أفضل للطفل فعلىنا أن ندرك أن يوم ميلاد الطفل، لا يعني اكثر من تسجيل لحظة وصوله للعالم الخارجي حيث كان يعيش في بيئة اخرى - رحم أمه - قرابة ( ٢٨٠ ) يوما - في مرحلة ما قبل الولادة.

وبعد لحظة الاخصاب، وفي الشهر الثاني ( الأسبوع الثامن ) تكتمل كل اعضاء الجسم والصفات الأساسية للشكل الخارجي بعد اكتساب كل الخصائص والموروثات. قال تعالى ( هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل، ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعلقون). صدق الله العظيم.

فحاجات الطفل في مرحلة تكوين النطفة ثم العلقه داخل بيئة الرحم، تتلخص في الغذاء الجيد والمناخ الصحي، في سلامة جسم الأم من الأمراض واضرار التدخين والمشروبات والعقاقير والحالة النفسية، حيث ثبتت العلاقة بين حالة الانفعال الشديد والصدمات النفسية وحدوث الاجهاض.

إذاً عوامل الوراثة والبيئة الرحمية والتغذية والتكوينات الجسمية تتم قبل

خروج الطفل للحياة حيث تصبح له شخصية اعتبارية متميزة عن غيره من الأطفال نظريا وعمليا... شكلا ومضمونا وأهمية مؤسسات الطفل هي أخذ هذه الحقائق في الاعتبار، عندما تغيب عن الذين يعتقدون ان مشاكل الطفل تبدأ في مرحلة الحضانة والروضة والمدرسة ومجالات التعليم الأخرى.

### مرحلة ما قبل المدرسة

ان هذه المرحلة والتي تقع ما بين الثالثة والخامسة من العمر — تتميز بخصائص معينة تتطلب برنامجا خاصا في أسلوب التعامل وهي من أهم المراحل التربوية في نمو الطفل الحركي والعقلي واللغوي والاجتماعي... وهي فترة تشكيل البناء النفسي الذي تقوم عليه اعمدة الصحة النفسية ومتطلباتها كالشعور بالمحبة والطمأنينة والتقدير الأسري ولذة النجاح وحلاوة الحرية ومبادئ الانضباط — مرحلة التكوين — والتلوين... تكوين اساسيات البناء... وتلوين الرغبات والأهواء... وعلى قدر نجاح أو فشل أولى الأمر في الاستفادة من هذه المرحلة يكون عطاء ما بعدها من مراحل.

### حلقات متصلة

ان البيئة المادية للطفل تمتد من داخل الرحم الى الخارج — الاسرة — المدرسة والمجتمع وما نحاول الوصول اليه ضرورة وجود مؤسسات كاملة ذات فروع متخصصة، تعني بالطفل قبل الولادة وقبل المدرسة، لأن البيت أفضل مدرسة وهو الذي يهيء الطفل للدخول المتدرج بثقة الى قاعة الدرس لكنه ليس الجانب الوحيد... ودور المؤسسة هو الاهتمام بكل الجوانب حتى دخوله هذه القاعة مزودا بكل الاحتياجات الذهنية والنفسية اللازمة لممارسة هذه النشاط الانساني. لقد اثبتت القناعات القديمة ان اعتبار ميلاد الطفل ترمومتر قياس مظاهر النمو في المشي والكلام والقراءة لا تمثل المعيار الحقيقي في التنبؤ بقدرات الطفل في المستقبل وقد اثبتت دراسات علم النفس السلوكي لعلماء من امثال واطسون وسكز وولب صدق

هذا الافتراض، وقد وضع ان سلوك الطفل قابل للتبديل والتحوير في اتجاهات مختلفة بدرجات كبيرة.

## المعايير الجديدة

اننا ما زلنا نتفاخر بالطفل ( الاول ) في الصف... الطفل الرقم بين مجموعة ارقام اخرى في الصف وقد يكون دور المتوسط في الذكاء والقدرات. ونغالي في السخرية من الطفل ( دون العشرة الأوائل ) حتى وان كان بين مجموعة من المتفوقين وذوي القدرات الذهنية العليا حتى اصبحنا جنسيات وقبائل في سباق الأوائل وابتكرنا شتى الأساليب في تقديم الجوائز القيمة والمثيرة للهمة في نفوس البعض والمسببة للأحباط في نفوس الآخرين من الأطفال دون سوء قصد قطعاً... وهي خطوة صحيحة في اتجاه خاطيء اذا أننا منذ البداية لم نصنف الأطفال حسب القدرات والذكاء والمهارات والفوارق الفردية وهي المبادئ الأساسية للمنافسة غير الضارة بين الأطفال. يندر أن نجد الأسرة التي تفخر بالقدرة اللغوية للطفل او المهارة الفنية في الرسم او النبوغ المبكر في مادة الرياضيات أو موهبة المهارة اليدوية وهي قدرات كامنة عند تفجيرها الى طاقات تملأ فراغاً هائلاً في مجالات الخلق والابداع بحيث يسهل تصنيف الأطفال حسب ميولهم الفطرية وتنمية قدراتهم في هذه الاتجاهات... وكثيراً ما نلاحظ طفلاً متوسط القدرات في كل هذه المواد مجتمعة، يكون اول الصف متفوقاً على طفل خارق النبوغ في مجال نادر... لكن شخصيته المنطوية وقدرته الكلامية المتوسطة تحول دون ظهور هذه الموهبة، بحيث لا يطفو على السطح مثل الطفل الآخر.

## اصناف دور الحضانة

ثم ندفع بالطفل الى دور حضانة من شتى النوعيات، بعضها مستودع لحفظ الأطفال حتى نهاية دوام الأبوين... بعضها قاعات انتظار في المطارات الدولية تحت اشراف زائرة صحية، عندما يكون فكر الوالدين

غائبا في سحابة السفر، وظهورهم مثقلة بالحقائب في انتظار الطائرة المتأخرة حتى منتصف الليل... بعضها... مظهر من مظاهر الترف الحضاري حيث تحاول الأم تمثيل دور الحضانة كظاهرة اجتماعية، حتى وان كانت التزاماتها الأسرية لا تبرر هذا الفعل... بعضها مصدر تجارة رابحة لبعض ربوات البيوت اللواتي يطحنهن الشعور بالفراغ الممل او تدفع بهن غريزة الثراء السريع في اتجاه اي مشروع تجاري لا يحتاج الى تراخيص ومراقبة، أو نفقات وميزانية وانصافا للقلة المسؤولة هناك دور مقننة ملتزمة بمواصفات خاصة هادفة من حيث المساحة والتنوع في البيئة والأبداع في اصناف اللعب مع مراعاة الاعمار والتشويق في معاملة الطفل باثارة غريزة الفضول في حل الألغاز وتنوع النشاط والتحكم في حركة الجسم وتعزيز الثقة بالنفس بتشجيع روح المبادرة، فتصبح ذات أغراض متعددة وأهداف متجددة وليست قتلا للوقت، وشغل فراغ الطفل.

### دور رياض الأطفال

لعل من أهم مراحل ما قبل المدرسة مرحلة رياض الأطفال، وضرورة وجود مؤسسات خاصة بالطفل، لا يعني فصل رياض الأطفال من مؤسسة التربية والتعليم والشباب، فهذه الحلقات متصلة ولكنه يقتضي شرط وجود مرحلة تعليمية تربوية متكاملة من حيث مواصفات المباني والتصاميم بصورة نموذجية تخدم حاجات الطفل في هذه المرحلة من العمر... ومن حيث النظام الخاص في المناهج التعليمية المنهجية واللامنهجية والمقررات التربوية الأخرى... ومن حيث الكادر الوظيفي المؤهل عمليا حتى لا تكون رياض الاطفال أول تجربة المبتدئين في حقل التربية، ولكن عصاره جهد المقتدرين خصوصية وتخصصا في عبء انتقال الطفل من البيت للروضة للمدرسة بصورة تضع الطفل المناسب في الصف المناسب.

من هنا تبلور أهمية مؤسسات رعاية الطفل كنقطة التقاء في أعلى مواقع التخطيط الشامل لفروع التخطيط القطاعية الموزعة بحيث تقع مراكز الطفولة والأمومة تحت مسؤولية جهة ومراكز الاعانة الأسرية وخدمات

التنمية الاجتماعية تحت جهة أخرى وحق رعاية الطفل في حالات الطلاق والانفصال تحت جهة وتراخيص دور الحضانه ومسؤولية الاشراف والمراقبة عليها تحت جهة ودور رعاية المعوقين ومعاهد المكفوفين تحت جهة اخرى، ان دقة التخصص ضرورة ولكن شمولية التخطيط خطوة اكثر عملية في التنفيذ حتى لا يضيع الطفل في متاهة السير في عدة اتجاهات في آن واحد.

وقد يكون تكوين مجلس اعلى لرعاية الطفولة على مستوى الدولة الخطوة العملية الاولى ونقطة البداية من أجل تكوين مجلس أعلى لرعاية الطفولة في العالم الاسلامي... والميل يبدأ بخطوة والغيث أوله قطر فينهمر.